غيرها وكأنها موجودة في حقل اختبار لمعرفة صَلاَبتها وقوتها في مواجهة الأسئلة التي تُوَجَّهُ إليها من طرف المَوْقِع الآخر، وإما أن يتم إخضاعُ بعضها للبعض بوسائل فنية وتمويهية تُلهي القارىءَ عن معرفة ما يجري من تواطؤ ضد ملكاته الادراكية. في الحالة الأولى تكون الرواية ذات طابع ديالوجي، وفي الحالة الثانية تكون الرواية ذات طابع منولوجي ومظهر ديالوجي.

● غير أن الرواية عندما يتم فيها إعْلانُ تناقضٍ صريح بين آراء الكاتب والإديولوجيات والتصورات المغايرة، فإن الرؤية فيها تصبح ذات طابع منولوجي واضح، وإذا أراد الكاتب أن ينقذ عمله من التبشيرية والخطاب الدعائي، عليه أن يقوِّي من الوسائل الفنية التمويهية. وأنجحُ وسيلة تُغطي هذا الموقف الإديولوجي المباشر هي عادةً الطاقةُ الشعرية. فلجلب انتباه القارىء، على الكاتب أن يسحره بالوسائل الابداعية.

● وتتراوح الرواية في هذه الحالات الثلاث بين إدماج الإديولوجيا باعتبارها موقفاً معبراً عن مصالح خاصة، لكن من خلال خطاب غير إديولوجي بطريقة خالصة، لأن الرواية الناجحة هي أولاً وقبل كل شيء إبداع، وبين الإديولوجيا باعتبارها بحثاً معرفياً في الإديولوجيات، لكن على الطريقة الابداعية أيضاً.

● ان الرواية لا تعكس إديولوجيات الواقع، ولكنها على الأصح تندرج هي نفسها في الحقل الإديولوجي لأنها مغامرة فكرية في خضم الصراع الإنساني، وهي تقوم في هذه الحالة بمهمة مزدوجة توظف الإديولوجيات وتقتحم عالم الصراع الإديولوجي أو البحث المعرفي. وهي فوق ذلك كله تختلف عن الإديولوجيا لأنها تملك في الوقت نفسه قوة تأثير ما هو إبداعي.

● نستطيع أن نتبين من هذه النقطة الأخيرة أن الإديولوجيا في الرواية تدخل إليها كمادة أولية لتشييد بنيتها، أي باعتبارها عنصراً شكلياً، وهي لذلك غالباً ما تكون متصلة بالمفهوم السياسي الذي تعرضنا له في البداية وإن كان تَجَسُّدها في الرواية يُكْسِبُها طابعاً مغايراً، لأنه يضعها في علاقة تصادمية مع الإديولوجيات الأخرى، تذهب إلى حدود تعرية مقاصدها القصوى.

● تعتبر المفاضلة بين الرواية المنولوجية ذات الأطروحة الإديولوجية والرواية الديالوجية ذات البعد المعرفي آعتباطية[71]، لأن كل رواية تمتلك وسائل تأثيرها الخاصة في القراء، وإن كان بإمكاننا أن نلاحظ أن الرواية المنولوجية تُقَنِّعُ إديولوجتها المفردة بواسطة شحنة إبداعية قوية، بينما لا تحتاج الرواية الديالوجية بحكم طابعها المعرفي إلى مثل هذه الشحنة لأنها تبلغ

---

(71) انظر ما قلناه بصدد هذه النقطة بالذات في كتابنا: **أسلوبية الرواية مدخل نظري**. منشورات دراسات سال. البيضاء، 1989 وخاصة تحت عنوان البعد المعرفي والاشكالية الجمالية، ص 41 وما بعدها.